

السبـتـة 16-10-2010

1142- ما معنى التعتعة، وما هو "الدستور"

توقف الدستور ،

آسف هناك شيء ما زال يصدر في أوراق متلائمة " بكلام كثير" ، و" إعلانات" ، "كلام كثير" ، و" إعلانات" قياسا على مقوله سعيد صالح ، في مدرسة المشاغفين: (مارشات عسكرية ،) ، هذه الأوراق ما زالت تحمل اسم الدستور ، ولا أعرف مدى قانونية ذلك ، لكنني أعرف أنه عمل غير مشروع بالقياس الأخلاقي ، ذلك أن الدستور الذي سمعت لنفسي أن أكتب فيه منذ إصداره الأول سنة 1995 عام 1998 ثم عدت أكتب فيه في الإصدار الثاني منذ 23 مارس 2005 ، توقف فعلا ، وعلى هذا الذي يصدر أن يجد له اسم آخر ،

أنا لا أريد أن أكتب في هذا الموضوع لأسباب كثيرة ، وسوف أعود للكتابة فيه لأسباب أكثر ، وسأكتفى اليوم بذكر مخات من تارichi الشخصي معه ، ومع رئيس تحريره بوجه خاص:

دعاني إبراهيم عيسى ، دون معرفة خاصة ، بصفته رئيس تحرير الدستور الأول سنة 1995 لكتابه عمود أسبوعي ، تلكأت حتى أتعرف على "ما هو هذا الدستور الذي سوف أكتب فيه" ، حين أطمأننت اقترنت عنوانا غير مألوف وهو الذي ظل حفظا به حتى الآن ، أعني حتى توقف للمرة الثانية ، "تعتعة" ، حين سأله إبراهيم لماذا؟ "يعني ماذا؟" ، كتبت أشرح ذلك على الوجه التالي:

التعتعة هي: الكتابة بقصد التحرير لا البلاغ ، وقد استعرت لفظ "التعتعة" هذا من المحسن بن هانئ ، وهو يقول (مازحا أو جادا):

وـما الغـرم إـلا أـن تـرـأـي صـاحـيا
تـعـتـعـي الـخـمـرـ

وقياسا أقول:

وـما الغـرم إـلا أـن تـرـأـي سـاكـنا
تـعـتـعـي الرـأـيـ

ثم أضفت شارحا:

(إن) آفة ناسنا الألعن هي الجمود المغلف بالكسل، التي يقابلها على الجانب الآخر الاندفاع المتسارع بالاستهلال، والتعنّة هي تحريك حسوب بين هذا وذاك. وفرق بين كتابة وكتابه، فكتابه الخبر المعلومة هي نوع من الإخبار والبلاغ، أما كتابة الرأي وجهة النظر، فهي دعوة للحوار والمراجعة، والتعنّة هي من النوع الثاني: ولزيادة من الإيضاح:

- هي دعوة للقراءة الثانية قبل التسليم بظاهر القول،
 - وهي حفز للنظر في الجانب الآخر من المعنى الظاهر، لعله أهـمـ، وأـدـلـ،
 - وهي رفض للمشارعة بـ "التعظيم سلام" لكل حروف مطبوعة،
 - وهي تحذير من هـزـ الرأسـ بـالـموـافـقـةـ حقـ قـبـلـ أنـ تـكـتـمـلـ الجـملـةـ أوـ يـتـضـحـ المـرـادـ،
 - وهي إغراء بإعادة النظر في الشائع المتفق عليه، حتى لو كان بديهياً، أو مقدساً.
- (ملحوظة: وحين أغلق الدستور في المرة الأولى، والثانية، شعرت أنهم يعتبرون مثل ذلك بوجه خاص من الكبائر) وكان من أوائل ما كتبت في الدستور الأول، ربما لاختير مدى تحمله الاختلاف، تعنـةـ بتاريخ 5-3-1997 بعنـوانـ "دستور يا الدستور" قلت فيها:

"..... وهـكـذاـ قـبـلـتـ هـذـاـ الاـضـطـرـارـ الرـائـعـ حقـ أـخـتـيرـ نـفـسـيـ وأـنـاـ أـجـاـوـزـ الـحـدـودـ (وسـوـفـ أـفـعـلـ حـتـمـاـ، فـهـذـاـ هوـ ماـ يـدـفـعـنـيـ عـادـةـ لـلـكـتابـةـ)ـ لـكـنـيـ لـأـعـرـفـ مـاـهـىـ جـدـودـ صـحـيفـهـ الدـسـتـورـ الـقـيـ علىـ لـأـلـأـجـاـوـزـهـاـ (أـجـاـوـزـهـاـ)ـ وـلـأـبـدـأـ بـهـذـاـ الـاخـتـيـارـ:ـ .ـ .ـ .ـ .ـ فـبـلـدـنـاـ كـانـتـ كـلـمـةـ دـسـتـورـ "بـفـتـحـ الدـالـ"ـ تـعـنـىـ:ـ وـلـمـ أـخـاـذـهـ،ـ أـوـ:ـ بـالـإـذـنـ،ـ وـكـانـ الرـدـ عـلـيـهـاـ دـسـتـورـكـ معـكـ،ـ وـلـمـ أـحـاـوـلـ أـسـأـلـ أـبـيـ ماـذـاـ يـعـنـيـ هـذـاـ كـلـهـ،ـ وـمـاـ عـلـاقـةـ ذـلـكـ بـدـسـتـورـ 1923ـ أـوـ حتىـ دـسـتـورـ 1930ـ،ـ نـاهـيـكـ عـنـ الدـسـاتـيرـ الـلاحـقـةـ،ـ فـقـدـ كـانـ دـسـاتـيرـ "كـداـ وـكـيـداـ".ـ

وـهـنـيـ صـدـرـتـ صـحـيفـهـ "الـدـسـتـورـ"ـ لـمـ أـحـاـوـلـ أـسـأـلـ أـوـ أـتـسـأـلـ عنـ معـنـىـ اـخـتـيـارـ كـلـمـةـ الدـسـتـورـ اـسـاـلـهـاـ،ـ لـأـنـهـاـ -ـ أـيـضاــ مـفـهـومـهـ بـالـسـيـاسـيـ،ـ وـرـحـتـ كـالـعـادـةـ أـقـفـ حـذـرـاـ أـمـامـ العـدـ تـلـوـ الـآخرـ حقـ أـتـعـرـفـ عـلـيـهـاـ وـأـطـمـئـنـ إـلـىـ مـصـادـرـ تـعـوـيـلـهـاـ،ـ وـآنـسـ بـالـأـقـلامـ عـلـىـ صـفـحـاتـهـاـ،ـ وـقـدـ كـانـ،ـ ثـمـ نـشـرـتـ فـيـهـاـ مـقـالـاـ مـثـ مـقـالـاـ،ـ وـكـانـ التـحرـيرـ أـمـيـنـاـ فـلـمـ يـشـطـبـ حـرـفاـ،ـ ثـمـ تـلـطـفـ رـئـيـسـ التـحرـيرـ فـطـلـبـ مـنـ الـمـزـيدـ،ـ وـعـادـةـ مـاـ أـعـتـيـرـ ذـلـكـ جـمـالـةـ،ـ وـبـعـدـ حـوـارـ قـصـيرـ جـاءـتـ فـكـرـةـ هـذـاـ الـعـمـودـ،ـ وـأـنـاـ فـدـ إـلـتـزـامـ الرـاتـبـ بـالـكـتابـةـ خـشـيـهـ أـنـ أـضـطـرـ لـأـكـتـبـ وـالـسـلـامـ،ـ لـكـنـيـ تـذـكـرـتـ أـنـ لـمـ أـكـتـبـ فـيـ حـيـاتـيـ عـلـمـاـ أـوـ رـأـيـاـ أـوـ دـيـبـاـ إـلـاـ مـضـطـرـاـ:ـ مـضـطـرـاـ مـنـ الدـاخـلـ أـوـ مـنـ الـخـارـجـ،ـ فـاـلـاضـطـرـارـ عـظـيمـ حـينـ يـكـونـ دـافـعاـ لـلـبـدـءـ،ـ فـاـلـنـجـازـ،ـ لـكـنـهـ قـبـيـحـ إـذـاـ شـكـلـ مـحـتـوىـ الـكـتـابـةـ وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ.

هذا ما كتبته ونشر بالحرف الواحد، ثم عدلت في نسخة التعنـعة ما تيسـر من ملاحظـات قـاسـية، ورفـقـ صـارـخـ لـبعـضـ ما جاءـ في أـعـدـادـ سـابـقـةـ قـرـيبـةـ، لاـ جـالـ لـتـكـرـارـهاـ هـنـاـ آـلـهـاـ كـانـتـ بـعـناـسـيـاتـ مـفـتـ عـلـيـهـاـ حـوـالـيـ خـمـسـةـ عـشـرـ عـامـاـ

ونـشرـهاـ الدـسـتـورـ هـذـهـ التـعـنـعةـ دونـ تـغـيـيرـ حـرـفـ

وفـ الإـصـدـارـ الثـانـيـ عـدـتـ إـلـىـ عـادـتـيـ الـقـديـمةـ، وـكـتـبـتـ رـأـيـ فـماـ يـكـتـبـهـ رـئـيـسـ التـحرـيرـ سـباـ فـالـشـعـبـ الـمـصـرـيـ شـخـصـيـاـ، وـأـنـاـ أـعـتـرـ نـفـسـيـ دـونـ اـنـتـخـابـاتـ وـلـاـ يـجـزـنـونـ نـائـبـاـ مـعـيـنـاـ مـنـ قـبـلـ رـبـنـاـ لـلـدـفـاعـ عـنـ هـذـاـ الشـعـبـ الـجـمـيلـ، مـهـمـاـ رـدـدـواـ "ـمـاـذـاـ حدـثـ لـهـ"ـ "ـمـاـذـاـ حدـثـ لـلـمـصـرـيـنـ"ـ نـاسـيـنـ أـنـهـمـ مـنـهـمـ وـبـهـمـ، الـمـهمـ كـتـبـتـ فـ الإـصـدـارـ التـالـيـ بـتـارـيـخـ 25-1-2006ـ أـرـاجـعـ نـفـسـيـ عـنـ شـعـرـ كـتـبـتـهـ وـأـنـاـ فـالـرـابـعـةـ عـشـرـ (ـسـنـةـ 1949ـ)ـ أـصـفـ نـاسـيـ قـائـلـ :

"ـ وـحـقـ الـمـاـكـاتـ لـاـ يـقـنـوـهـاـ، مـسـوـخـ قـرـودـ بـقـايـاـ بـشـرـ"ـ
لـأـنـيـ وـجـدـتـ نـفـسـيـ كـمـاـ جـاءـ فـتـلـكـ التـعـنـعةـ بـذـلـكـ التـارـيـخـ
أـقـولـ :

"ـ .ـ .ـ .ـ بـعـدـ حـوـالـيـ سـتـيـنـ عـامـاـ تـوقـفـتـ عـنـ هـذـاـ الـبـيـتـ
أـتـسـأـلـ: مـنـ هـمـ هـؤـلـاءـ الـذـيـنـ كـنـتـ أـصـفـهـمـ، وـأـتـصـورـ أـنـهـمـ لـمـ
يـصـلـوـ إـلـىـ مـرـتـبـةـ الـقـرـودـ فـيـ التـقـلـيدـ، وـأـنـهـمـ :ـ بـقـايـاـ بـشـرـ"ـ
يـاـ تـرـىـ كـنـتـ أـعـنـيـ نـاسـنـاـ جـمـيـعـاـ (ـالـشـعـبـ)، كـمـاـ يـفـعـلـ أـبـوـ جـيـيـ
رـئـيـسـ التـحرـيرـ الـآنـ حـينـ يـنـزـلـ عـلـىـ الـشـعـبـ الـمـصـرـيـ سـلـخـاـ بـلـ رـحـمـةـ
حـتـىـ أـتـصـورـ أـنـهـ يـعـنـيـ شـخـصـيـاـ؟ـ هـلـ كـنـتـ فـهـذـ الـسـنـ أـوـجـهـ
الـخـطـابـ لـخـلـاـمـ سـنـةـ 1949ـ وـلـهـ كـلـ الـحقـ فـيـ الـمـاـكـاتـ دـونـ اـدـعـاءـ؟ـ
الـمـهـمـ أـنـيـ الـآنـ اـنـتـبـهـتـ وـهـذـاـ الـبـيـتـ الـأـخـيـرـ يـعـاـوـدـنـ أـنـ الـمـسـأـلـةـ
تـنـطـيـقـ عـلـيـنـاـ جـمـيـعـاـ:ـ نـاسـاـ وـحـكـامـ، فـلـنـرـكـزـ عـلـىـ حـكـامـنـاـ
تـارـكـنـ النـاسـ لـأـيـ جـيـيـ دـاعـيـ أـنـ يـخـفـ جـرـعـتـهـ عـلـيـنـاـ بـعـدـ حـجـهـ.
الـمـبـرـورـ إـنـ شـاءـ اللـهــ.

بـلـ إـنـيـ لـمـ أـكـتـفـ بـأـنـبـهـهـ عـنـ مـاـ يـكـتـبـهـ فـصـحـيفـتـهـ فـحـسـبـ،
بـلـ رـحـتـ أـتـابـعـ حـمـاسـهـ الـمـنـدـفـعـ الـقـاسـيـ الـجـاهـزـ لـلـشـجـبـ حـتـىـ فـيـماـ
يـنـشـرـهـ فـغـيرـ صـحـيفـتـهـ مـثـمـاـ فـعـلـ فـيـ "ـصـوتـ الـأـمـةـ"ـ، فـلـمـ أـتـرـدـدـ فـيـ
الـرـدـ عـلـيـهـ، لـاـ فـيـ صـوتـ الـأـمـةـ، وـإـنـماـ فـيـ صـحـيفـتـهـ شـخـصـيـاـ، كـتـبـتـ
فـيـ الدـسـتـورـ فـيـ تـعـنـعةـ 24-8-2006ـ بـعـنـوانـ أـدـبـ الـتـحـريـفـ
وـالـإـبـداـعـ الـثـوـرـيـ أـقـولـ :

لـعـلهـ مـنـ الـمـفـيـدـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ أـنـ ذـكـرـ حـوـارـاـ عـابـراـ دـارـ
بـيـنـ وـبـيـنـ رـئـيـسـ التـحرـيرـ أـثـنـاءـ ذـهـابـنـاـ سـوـيـاـ إـلـىـ تـسـجـيلـ
بـرـنـامـجـ مـاـ فـيـ قـنـاةـ مـاـ، مـنـذـ سـنـوـاتـ، كـانـ حـوارـ حـولـ الـنـقـدـ
الـأـدـبـ، وـالـرـوـاـيـةـ بـوـجـهـ خـاصـ، مـنـ حـيـثـ دـورـهـ الـسـيـاسـيـ الـثـوـرـيـ
تـقـدـيـداـ، وـبـلـغـ حـمـاسـهـ أـنـ فـهـمـتـ أـنـ رـأـيـهـ أـنـ الـعـلـمـ الـأـدـبـ الـذـيـ لـاـ
يـنـحـازـ إـلـىـ عـوـافـ الـجـمـاهـيرـ الـغـفـرـيـةـ، وـلـاـ يـجـرـكـ النـاسـ تـمـرـيـضاـ، لـاـ
يـسـتـحـقـ أـنـ يـعـدـ إـبـداـعـاـ هـاماـ، بـصـرـاحـةـ اـخـتـلـفـنـاـ حـتـىـ كـدـنـاـ
نـتـشـابـكـ (ـوـهـذـاـ مـنـ عـلـامـاتـ الـوـدـ وـاـخـمـيـمـيـةـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ يـاـ أـبـاـ
جـيـيـ)ـ.ـ عـادـ لـهـذـاـ الـمـوـقـفـ وـأـنـاـ أـقـرأـ رـأـيـهـ الـأـخـيـرـ فـيـ صـوتـ الـأـمـةـ

(عدد 14 المخارى) وهو يعلن غياب الأدب والأدباء عن المشاركة في الاحتجاج والتحريك والتحريض والإثارة حتى قال: "وهكذا لم يعد للأدب أي دور ولم تعد للأدباء أية أهمية" إلخ

(مع أنه استدرك بعد ذلك)

وبعد

هذا هو الدستور الذى أغلقوه ، وأقالوا إبراهيم عيسى، بل وأقالوا كل من يكتب فيه (على الأقل جirاف فى صفحة الرأى الذى كانت تستضيف تعترقى، كم أوحشى د. أحمد يونس يا ناس!!) نعم ، أقالوهم ليقسحو المساحة للإعلانات الخلوة جدا ، وربما التى سوف يتم من خلالها تحقيق الديمقراطية ، والعدالة ، وربما تشفع لقارئها لدخول الجنة ، من يدرى ، ولكن لماذا نتعجب على هذا الواقع هكذا ، برجاء مراجعة عدد أهرام الجمعة اليوم (14 المخارى) ، فقد عجزت عن أعيير حتى على مواقف الصلاة لولا أنها فى أسفل الصفحة الأولى ، ولا مؤاخذة

الباقية فى حياة صحفكم الذى تحاول (إن استطاعت أن تستمر أطول)

ولا عزاء للشركات العابرة للقارات.

ولنا عودة ، لأن دلالة الحادث أكبر من الدستور ، ومن إبراهيم عيسى ، ومن مصر الذى فى خاطرى وفي دمى
أنتظرونا بعد التقاط الأنفاس.